

الوافي في الوفيات

سعيد بن مسعدة أبو الحسن المجاشعي بالولاء النحوي البلخين المعروف بالأخفش الأوسط . أحد نحاة البصرة والأخفش الأصغر اسمه عليّ ابن سليمان والأخفش الأكبر اسمه عبد الحميد يأتي ذكرهما إن شاء الله في موضعيهما . وكان أبو الحسن الأخفش الأوسط أجعل لا تنطبق شفتاه على أسنه . قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه ولم يأخذ عن الخليل . وكان معتزلياً من غلمان أبي شمر . قال أبو حاتم السجستاني : كان الأخفش رجلاً سوء قدرياً كتابه في المعاني مؤويح وإلا أن فيه أشياء في القدر . وحدث عن هشام بن عروة الكلبي وغيره وروى عنه أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني . وذكر أبو بكر الزبيدي النحوي أن الأخفش كان معلماً ولد الكسائي وذلك أنه لما جرى بين الكسائي وسيبويه ما جرى من المناظرة ودخل سيبويه الأهواز قال الأخفش : فلما دخل شاطئ البصرة وجّهه إليّ فجئته فعرض فني خبره مع البغداديين وودعني ومضى إلى الأهواز فتزودت وجلست في سُميريّة حتّى وردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي فصلبت خلفه الغداة فلمّا انفتل من صلاته وقعد في محرابه وبين يديه الفرّاء والأحمر وابن سعدان سلّمت علىّ . وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأتة في جميعها فأراد أصحابه الوثوب عليّ فمنعهم عنّي ولم يقطعني ما رأيتهم علىّ عما كنت فيه . فلمّا فرغت من المسائل قال لي الكسائي : يا أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة ؟ قال : قلت : نعم ! . فقام إليّ وعانقني وأجلسني إلى جانبه ثمّ قال لي أولاد أحب أن يتأدّبوا بك ويخرّجوا على يدك وتكون معي غير مفارق لي . وسألني ذلك فأجبتة إليه فلمّا اتصلت الأيّام سألني أن أولّف له كتاباً في معاني القرآن فألّفت كتاباً في المعاني فجعله إماماً له وعمل علىّ كتاباً في المعاني . وعمل الفرّاء كتابه في المعاني عليهما . وقرأ علىّ الكسائي كتاب سيبويه سرّاً وهب له سبعين ديناراً وكان الأخفش يؤدّب ولد المعدّل بن غيلان فاحتاج إلى أن يركب في حاجة له فأراد أن يستعير منه دابةً فكتب إليه من المتقارب : .

أردت الركوب إلى حاجة . . . فمُرّ لي بفاعلة من دبت .

فكيف إليه : .

بُرّ يديننا يا أخي غامر فكن . . . مُحسناً فاعلاً من عدّرت .

وتوفي سنة عشر ومائتين وقيل خمس عشرة وقيل إحدى وعشرين ومائتين .

ومن تصانيفه : كتاب الأوساط في النحو كتاب معاني القرآن كتاب المقاييس في النحو كتاب

الاشتقاق كتاب الأربعة كتاب العروض كتاب المسائل الكبير كتاب المسائل الصغير كتاب القوافي كتاب الملوك كتاب معاني الشعر كتاب وقف التمام كتاب الأصوات كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها .

سأل المؤرِّخ الأَخفشَ هَذَا عن قوله تعالى : وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ مَا الْعَلَّةُ فِي سِقُوطِ الْيَاءِ مِنْهُ ؟ وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عِنْدَ الْجَزْمِ فَقَالَ : لَا أُجِيبُكَ مَا لَمْ تَدِينِ عِلَّاءَ بَابِ دَارِي ! . قَالَ : فَبِتُّ عِلَّاءَ بَابِ دَارِهِ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَقَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مَصْرُوفٌ عَنْ وَجْهِهِ وَكَلَّمَا كَانَ مَصْرُوفًا عَنْ وَجْهِهِ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَبْخَسُ حَظَّهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى : مَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغَيْبًا أَسْقَطَ الْهَاءَ لِأَنَّهَا مَصْرُوفَةٌ مِنْ فَاعِلَةٍ إِلَى فَعِيلٍ قُلْتُ : كَيْفَ صَرَفَهُ ؟ قَالَ : اللَّيْلُ لَا يَسْرِي ! . وَإِنَّمَا يُسْرَى فِيهِ .

الهذلي المغنبي